

تفسير البحر المحيط

@ 308 @ قدمت { الْجَبَالُ } على { الطَّيْرُ } ؟ قلت : لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة ، وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق انتهى . وقوله : ناطق إن عنى به أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون في حد الإنسان أنه حيوان ناطق فيلزم أن يكون الطير إنساناً ، وإن عنى أنه متكلم كما يتكلم الإنسان فليس بصحيح وإنما عنى به مصوِّت أي له صوت ، ووصف الطير بالنطق مجاز لأنها في الحقيقة لا نطق لها . . .
وقوله { وَكَذَٰلِكَ فَاعْلَمِينَ } أي فاعلمين هذه الأعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهن^١ والطير لمن نخصه بكرامتنا { وَعَلَّمَٰهُمْ ذَاتَهُ صِنْعَهُ لَبَّوْهُ لَكُمْ } اللبوس الملبوس فعول بمعنى مفعول كالركوب بمعنى المركوب ، وهو الدرع هنا . واللبوس ما يلبس . قال الشاعر : % (عليها أسود ضاريات لبوسهم % .
سوابغ بيض لا يخرقها النبل .
%) .

قال قتادة : كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داوود فجمعت الخفة والتحصين . وقيل : اللبوس كل آلة السلاح من سيف ورمح ودرع وبيضة وما يجري مجرى ذلك ، وداود أول من صنع الدروع التي تسمى الزرد . قيل : نزل ملكان من السماء فمرا بداود فقال أحدهما للآخر : نعم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال ، فسأل^٢ أن يرزقه من كسبه فألان له الحديد فصنع منه الدروع امتن تعالى عليه بإيتائه حكماً وعلماً^٣ وتسخير الجبال والطير معه وتعليم صنعة اللبوس ، وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه إليه تعالى . . .
ثم امتن علينا بها بقوله { لَتَتَذَكَّرْهُ مَنِ بَأْؤُكُمْ } أي ليكون وقاية لكم في حربكم وسبب نجاة من عدوكم . وقرء { لَبَّوْهُ } بضم اللام والجمهور بفتحها . وقرأ الجمهور : ليحصنكم بياء الغيبة أي^٤ فيكون التفاتاً إذ جاء بعد ضمير متكلم في { وَعَلَّمَٰهُمْ ذَاتَهُ } ويدل عليه قراءة أبي بكر عن عاصم بالنون وهي قراءة أبي حنيفة ومسعود بن صالح ورويس والجعفي وهارون ويونس والمنقر كلهم عن أبي عمرو ليحصنكم داود ، واللبوس قيل أو التعليم . وقرأ ابن عامر وحفص والحسن وسلام وأبو جعفر وشيبة وزيد بن علي بالتاء أي { لَتَتَذَكَّرْهُ } الصنعة أو اللبوس على معنى الدرع ودرع الحديد مؤنثة وكل هذه القراءات الثلاث بإسكان الحاء والتخفيف . وقرأ الفقيمي عن أبي عمرو وابن أبي حماد عن أبي بكر بالياء من تحت وفتح الحاء وتشديد الصاد ، وابن وثاب والأعمش بالتاء من فوق والتشديد واللام في { لَكُمْ } يجوز أن تكون للتعليل فتعلق بعلمناه ، أي لأجلكم وتكون {

لِتُدْحَمَنَّكُمْ ° { في موضع بدل أعيد معه لام الجر اذ الفعل منصوب بإضمار إن فتتقدّر
بمصدر أي { لَكُم ° } لإحصانكم { مِّنْ بَأْسِكُمْ ° } ويجوز أن تكون { لَكُم ° } صفة للبوس
فتتعلق بمحذوف أي كائن لكم ، واحتمل أن يكون ليحصنكم تعليلاً للتعليم فيتعلق بعلمناه ،
وأن يكون تعليلاً للكون المحذوف المتعلق به { لَكُم ° } { فَهَلْ أَنتُم شَاكِرُونَ }
استفهام يتضمن الأمر أي اشكروا □ على ما أنعم به عليكم كقوله { فَهَلْ أَنتُم °
مُّنْتَهِوْنَ } أي انتهوا عما حرم □ . .

ولما ذكر تعالى ما خص به نبيه داود عليه السلام ذكر ما خص به ابنه سليمان عليه السلام
، فقال { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ } وجاء التركيب هنا حين ذكر تسخير الريح لسليمان
باللام ، وحين ذكر تسخير الجبال جاء بلفظ مع فقال { وَسَخَّرْنَا مَعَ * دَاوُدَ *
الْجِبَالَ } وكذا جاء { فَضَلَّ } ياجِبَالَ أَوْ بِرِي مَعَهُ { وقال فسخرنا له الريح تجري
بأمره ، وذلك أنه لما اشتركا في التسبيح ناسب ذكر مع الدالة على الاصطحاب ، ولما كانت
الريح مستخدمة لسليمان أضيفت إليه بلام التمليك لأنها في طاعته وتحت أمره . وقرأ الجمهور
{ الرِّيحَ } مفرداً بالنصب . وقرأ ابن هرمز وأبو بكر في رواية بالرفع مفرداً . وقرأ
الحسن وأبو رجاء الرياح بالجمع والنصب . وقرأ بالجمع والرفع أبو حيوة فالنصب على إضمار
سخرنا ، والرفع على الابتداء و { عَاصِفَةً } حال العامل فيها سخرنا في قراءة من نصب {
الرِّيحَ } وما يتعلق به الجار في قراءة من رفع ويقال : عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة ،
ولغة أسد أعصفت فهي